مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17 العدد 02 السنة 2021/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

علم اللسانيات الأنثروبولوجية بين إدوارد سابير وفرديناند دوسوسير

Anthropological Linguistics between Eduard Sapir and Ferdinand Dossusser

د. بايزيد جاب الله*

جامعة زيان عاشور بالجلفة

jaballahbaizid@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/08/16 تاريخ القبول: 2020/09/29

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على ماهية اللسانيات الأنثربولوجية ومعالجة علاقتها بالمجتمع وثقافته. وذلك بالاعتماد على ما قدمه عالم الانثربولوجيا الأمريكية إدوارد سابير وعالم اللسانيات الأوربية فرديناند دوسوسير. ذلك لأن اللسانيات الأنثربولوجية تحرص على أن اللغة البشرية ترتبط ارتباطا وثيقا بظروف الأفراد والجماعات وثقافتهم وعاداتهم. وأنها تعبير عن الظواهر السائدة في المجتمع. ولأن هذه الأبحاث التي قام بها سابير في الأنثربولوجيا تزامنت مع أطروحات سوسير في اللسانيات البنيوية. هذا الاخير الذي أكد فيها على حضور المحور الاجتماعي في منهجه الذي تأثر فيه ببحوث عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم. والبحث يحرص على محاولة إيجاد نقاط التلاقي بين اللسانيين المذكورين في بحوثهما ودراساتهما. وذلك باستقراء المناهج اللسانية وفقا للمنظور الأنثروبولوجي ذلك لأن نظرية كل من سوسير في اللسانيات البنيوية الاجتماعية وسابير في اللسانيات الأنثربولوجية ألهمت الكثير من المفكرين في إنتاج الحداثة المعاصرة.

الكلمات الدالة: اللسانيات، الأنثروبولوجيا، إدوارد سابير ، فرديناند دوسوسير

Abstract:

This research aims to identify what anthropological linguistics is and to address its relationship with society and its culture. This is based on what was presented by the American anthropologist Edward Sapir and the European linguist Ferdinand Dossucer. This is because anthropological linguistics assures that human language is closely related to the conditions, culture and customs of individuals and groups. And it is an expression of the phenomena prevailing in society. And because these researches that Sapir did in anthropology coincided with Saussure's theses in structural linguistics. This is the latter in which he emphasized the

* **المؤلف المرسل**: د.جاب الله يايزيد، **الايميل**: jaballahbaizid@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

presence of the social axis in his approach, in which he was influenced by the research of the French sociologist Durkheim.
The research is keen to try to find points of convergence between the two linguists mentioned in their research and studies. This is by extrapolating the linguistic methods according to the anthropological perspective, because the theory of both Saussure in socio-structural linguistics and Sapir in anthropological linguistics has inspired many thinkers in the production of contemporary modernity.
Keywords: linguistics, anthropology, Edward Sapir, Ferdinand Dossusser

مقدمة:

إن فهم كل علم من العلوم قديمها وحديثها مرهون بفهم المصطلحات الحاملة الناقلة لأفكاره. وأولى المصطلحات بالفهم والإفهام عنوان العلم الذي يعد وعاء لما يتضمنه من موضوعات أو إطارا لما فيه من أفكار. ولبلوغ هذا الفهم في ميدان علم اللسانيات يحسن بنا أن نحدد الدلالة أو الدلالات التي تحملها كل كلمة من هاتين الكلمتين (علم) و(اللسانيات) قبل الخوض في موضوع هذا العلم أصولا وفروعا.

فمصطلح علم اللسانيات هو غربي النشأة، عربي البحوث والباحثين، عرفته دائرة المعارف البريطانية وحددت زمان ظهوره فقالت:" هو الدراسة العلمية للغة، وهذه الكلمة استعملت في أواسط القرن التاسع عشر" وهذا التعريف نفسه ورد في الموسوعة الأمريكية (**الموسوعة الأمريكية كوبيرايت1991. مج 17 ص 525 1**) يقول رمضان عبد التواب حول موضوع اللسانيات:" موضوع علم اللغة هو كل النشاط اللغوي للإنسان في الماضي والحاضر، ويستوي في هذا الإنسان البدائي والمتحضر، واللغات الحية والميتة، والقديمة والحديثة دون اعتبار لصحة أو لحن وجودة ورداءة" (**رمضان عبد التواب ، القاهرة 1985 . ص 07**)

إن اللسانيات علم يمتلك كل الخصوصيات المعرفية التي تميزه عما سواه من العلوم الإنسانية الأخرى من حيث الأسس الفلسفية والمنهج والمفاهيم والاصطلاحات، بيد أن ما تقتضيه الضرورة العلمية هو أنه لابد لكل علم من موضوع يعد مادته التي تخضع لإجراءاته التطبيقية، وموضوع اللسانيات هو اللسان (**أحمد حساني ، الجزائر 1991. ص 12**) الذي هو النظام التواصلي المشترك بين أفراد المجتمع في البيئة اللغوية المتجانسة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ظهر مصطلح اللسانيات أول ما ظهر في ألمانيا ثم استعمل في فرنسا ابتداء من سنة 1826 ثم في أنجلترا ابتداء من 1855 (**عبد الرحمن الحاج صالح الجزائر 2007. ص 139**) واللسانيات هي الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري من خلال الألسنة الخاصة بكل مجتمع. فهي دراسة للسان البشري تتميز بالعلمية والموضوعية ونعنى بالعلمية البحث الذي يستخدم الأسلوب العلمي المعتمد على الملاحظة والتجربة والاستقراء. أما الموضوعية فهي أن تكون الخصائص العلمية مستقلة عن قائليها بعيدة عن التأثر بأهوائهم وميولهم، فتتحقق في البحث العلمي الموضوعية والنزاهة. فالموضوعية حينئذ هي طريقة العقل الذي يتعامل مع الأشياء على ما هي عليه فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو تحيز ذاتي (**جميل صليبا ، بيروت 1978. ص 164**)

واللغة التي يدرسها علم اللسانيات كما يقول دي سوسير هي :" اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها" (**محمود السعران لبنان.دت. ص 51**) أي أن علم اللسانيات "يدرس اللغة من حيث هي لغة. يدرسها كما هي الآن فليس للباحث فيها أن يغير من طبيعتها" (**محمد علي عبد الكريم الرديني ، الجزائر.ط 2009. ص 34**) وعلم اللسانيات يدرس اللغة من أجل ذاتها. إنه يدرسها لغرض الدراسة نفسها. ومعنى في ذاتها ومن أجل ذاتها أي أن علم اللسانيات " بالمفهوم الحديث لا يجري وراء تصحيح الكلام أو الكشف عن أخطائه وليس من وظيفته دراسة اللغة ذاتها، إذ هي في عرفنا ما يتكلمه الناس بالفعل لا كما يجب أن يتكلمه الناس" (**كمال بشر، القاهرة 1970. ص 11، 12**) فهو يكشف عن حقيقة اللغة التي تكون موضوع دراسته، ولا يقصد منه تحقيق أغراض تربوية أو أية أغراض أخرى (**محمود السعران لبنان. دت. ص 53، 54**) يدرس اللغة من أجل ذاتها أي أنه يدرسها لغرض الدراسة نفسها. ويقول دي سوسير في شرحه لمدلول علم اللسانيات الحديث:" اللغة التي يدرسها علم اللغة ليست الفرنسية أو الأنجليزية أو العربية، أي ليست لغة معينة من اللغات. إنما هي اللغة التي تظهر وتتحقق في أشكال لغات كثيرة ولهجات متعددة وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني. فمع أن اللغة العربية تختلف عن الأنجليزية وهذه الأخيرة تفترق عن الفرنسية، إلا أن ثمة أصولا وخصائص جوهرية تجمع ما بين هذه اللغات، وتجمع ما بينها وما بين سائر اللغات وصور الكلام الإنساني، وهو أن كلا منها لغة، وأن كلا منها نظام اجتماعي معين تتكلمه جماعة معينة بعد أن تتلقاه عن المجتمع. وتتحقق

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

به وظائف خاصة ويتلقاه الجيل الحديث عن الجيل السابق... فعلم اللغة يستقي مادته من النظر في اللغات على اختلافها. وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التي تسلك اللغات جميعا في عقد واحد" (**محمود السعران، ص 51، 52**)

ومن المجالات المهمة التي تضطلع بها اللسانيات هي علاقة اللغة بالمجتمع الإنساني والنفس البشرية. وهنا ينازع اللسانيات علمان آخران هما علم الاجتماع وعلم النفس. فهناك بحوث ترمي إلى بيان العلاقة بين اللغة والإنسان في حياته الاجتماعية وتبين أثر المجتمع وحضارته ونظمه وتاريخه وتركيبه وبيئته الجغرافية في مختلف الظواهر اللغوية. والظواهر النفسية بمختلف أنواعها من تفكير وخيال وتذكر واسترجاع وعاطفة وغير لك. ومعنى ذلك أن اللغة ليست بمعزل عن العلوم الأخرى. فلها "ارتباط وثيق بعلم الاجتماع باعتبارها نتاج علاقة اجتماعية ووسيلة نقل الثقافة التي تعد من وجهة نظر علم الإنسان مجموعة تقاليد الشعب وأوجه استعمالاته للغته. وبالنظر إلى وظيفة اللغة كتعبير عن الفكر يمكن اعتبار اللغة جزءا من علم النفس"

(**ماريوباي ، القاهرة 1983. ص 42**)

علم اللسانيات وعلم الاجتماع: علم الاجتماع علم يدرس الظواهر الاجتماعية وقد يتقاطع مع اللسانيات منهجا عندما يدرس اللسان بوصفه ظاهرة اجتماعية، وهذا ما يسمى علم الاجتماع اللساني. وقد التقى الباحثون القدماء والمحدثون الحريصون على ربط اللسانيات بعلم الاجتماع في ملتقى واحد، وهو الاعتقاد القاطع بأن اللغة ظاهرة اجتماعية لا فردية. "إن وجود اللغة يشترط وجود المجتمع، وهنا يتضح الطابع الاجتماعي للغة. فليس هناك نظام لغوي يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به" (**محمود فهمي حجازي، القاهرة 1409 هـ. ص 12**) ويحسن بنا قبل الخوض في الحديث عن صلة اللغة بالمجتمع أو علاقة علم اللسانيات بعلم الاجتماع أن نعرف علم اللسانيات الاجتماعي.

تعريف علم اللسان الاجتماعي: قد تبلور هذا العلم في البداية منذ أن أكد دي سوسير الطابع الاجتماعي للسان، من حيث هو نظام متكامل من العلامات الدالة التي تتحقق في الواقه بواسطة الإنجاز الفعلي للكلام في البيئة اللغوية المتجانسة. فاللسان إذا هو راسب اجتماعي لجماعة بشرية تتميز

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بخصوصيات ثقافية وحضارية معينة. إذ ليس هناك حقيقة لسانية واقعية خارج بنية المجتمع (**أحمد حساني الجزائر 1991ص 20**) وقد عرفة هرسون فقال:" إنه دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع" (**هرسون 1990. ص 12**) ومع أن الغربيين لم يبرعوا في هذه الدراسات إلا منذ أمد قريب، فإن علماء العرب تركوا لنا في هذا المضمار تراثا قيما يدل على سبقهم من ناحية، وعلى سعة أفقهم في الدراسات اللغوية من ناحية أخرى. فإننا نجد عالما من علماء العربية يجمل بتعريفه للغة قبل ألف سنة ما فصله علماء الغرب في العصر الحديث. ذلك هو أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392 هـ حيث يقول إن:" اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (**ابن جني، القاهرة 1958 . ج1 ص 33**) فنجده قد كشف القناع بكلمتين اثنتين عن الوجه الاجتماعي للغة. فالقوم المجتمع والأغراض أفكار المجتمع ومشاعره. وفحوى كلامه أن اللغة ظاهرة اجتماعية لا ظاهرة فردية. ولم يضف فندريس جديدا حينما قال:" في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم" (**فندريس، القاهرة 1950. ص 35**) ولم يزد ماريو باي على كلمة أبي الفتح إلا لفظة (علم) وشيئا من البسط والتمديد لما تقبض وتكثف في عبارة ابن جني. قال:" إن اللغة لها علاقة وثيقة بعلم الإنسان وعلم الاجتماع باعتبارها نتاج علاقة اجتماعية" (**ماريو باي ص 42**) ورأي جان بياجيه:" أن اللغة مؤسسة اجتماعية تحكمها نواميس مفروضة على الأفراد" (**عبد السلام المسدي تونس 1986. ص 161**) وربما كان دوركايم أسبق الباحثين الغربيين إلى هذا المذهب، وعنه أخذ اللاحقون. لكنهم أسرفوا فيما اعتدل فيه ومنهم دوسوسير (**غازي مختار طليمات، دمشق. ط3 2007. ص 22**) فقد استمد دوسوسير هذا التصور الاجتماعي للظاهرة اللغوية من المدد النظري الذي هيأه العالم الاجتماعي دوركايم والذي تنبه إلى خصوصيات الظاهرة الاجتماعية. فأضحت اللغة إذ ذاك ظاهرة اجتماعية كغيرها من الظواهر الأخرى، مما جعل بعض العلماء يرى أنه إذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية وتؤدي أيضا وظيفة اجتماعية فليس هناك فرق بين اللسانيات وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية (**عاطف مدكور، القاهرة 1977. ص 43**). ونفهم من ذلك أنه ظهرت علوم لغوية فرعية أخرى قد تلامس علم اللسانيات الاجتماعي أو تلاقيه أبرزها علم اللسانيات الأنثروبولوجي. وهو علم موصول النسب بالإنسان وبالدراسات الإنسانية اللغوية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

علم اللسانيات الأنثروبولوجي: اللسانيات الأنثروبولوجية هي "دراسة الألسنة الخاصة بالجماعات البشرية من حيث الخصائص الإنسانية للمجتمعات، وبخاصة المجتمعات التي تنعت عادة بالبدائية أو الفطرية. فهي تبحث في الصلة التي تربط اللغة بالخصائص الثقافية للإنسان في مجتمع معين. إذ إن الصلة بين اللغة وثقافة المجتمع تعد من الموضوعات الهامة لعالم الأنثربولوجية" (**أحمد حساني الجزائر 1991 ص 18**) وما كان ذلك إلا لأن "مفهوم ثقافة من وجهة نظر الأنثربولوجيا يعني الحصيلة الكلية للتقاليد والعادات والأعراف ونمط الحياة لطائفة اجتماعية تتميز بخصوصيات حضارية معينة. ولذلك فإن كل المجتمعات سواء أكانت متحضرة أم بدائية لها ثقافة، وأن الحامل المادي لهذه الثقافة هي اللغة في بنيتها المتميزة" **(ماريو باي، ص 52)**

فهذا العلم ألا وهو اللسانيات الأنثروبولوجية يدرس كيف يمكن للظواهر اللغوية أن تكشف عن هوية الفرد، أو أن تنسب إلى عضوية دائرة اجتماعية أو جماعة دينية أو وظيفية أو قرابة معينة كما تكشف عن ثقافته بطبيعة الحال" (**أحمد حساني، الجزائر 1991 ص20**) ومما هو جدير بالذكر فإن " القسط الثقافي لأي مجموعة بشرية يرتبط ارتباطا وثيقا بالنموذج اللغوي المتميز لتلك الجماعة. مما يجعل تقطيع المفاهيم وتوزيعها في ثقافة من الثقافات يختلف باختلاف اللغات" (**كمال بشر، القاهرة 1995. ص44**) وقياسا بما أحدثته الثورة اللغوية التي أرسى معالمها دي سوسير من عصر التاريخ إلى عصر البنية والتقاطع الذي وجد بينه وبين عالم الأنثربولوجيا الأمريكي إدوارد سابير فقد تزامنت أطروحات دي سوسير مع ما قدمه سابير في دراسة المجتمعات من خلال إنتاجهم اللغوي. وسنحاول الوقوف لتوضيح الأطروحات اللسانية التي تتمنهج ضمن الدراسات الأنثربولوجية للغة التي أرسى دعائمها إدوارد سابير وبين ما جرى عليه دي سوسير الذي ربط اللسانيات بعلم الاجتماع

ولد إدوارد سابير بأمريكا سنة 1848 وتلقى علومه في جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك حيث تخصص في اللغة الألمانية. أظهر اهتماما بالغا بالدراسات الهندوأوربية. استمع إلى محاضرات فرانز بواز خلال سنوات عديدة وتأثر به مما دفعه إلى القيام بدراسات تناولت اللغات الأمريكوهندية. حاز على الدكتوراه في حقل الأنثربولوجيا سنة 1909ز وعين مديرا لقسم الأنثربولوجيا في المتحف الوطني الكندي في أوتاوا حيث تابع أبحاثه في مجال اللغات الأمريكوهندية. درس الأنثربولوجيا في جامعة شيكاغو في الفترة ما بين

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأعوام 1925 و1932 ومن ثم انتقا إلى جامعة بال ودرّس بها حتى تاريخ وفاته سنة 1939 (**ميشال زكريا بيروت 1960 ص 218**). يعتبر سابير من اللسانيين الأوائل الذين ساهموا في نشأة اللسانيات.

اللسانيات الأنثربولوجية عند سابير: يعتبر سابير على أنه ليس بالإمكان فصل اللغة عن ثقافة البيئة التي تتكلمها ويرى بأن البشر لا يعيشون في العالم المادي وحده ولا في عالم النشاط الاجتماعي بالمفهوم المادي ولكنهم يخضعون خضوعا إلزاميا إلى التكوين اللغوي الذي يحدد التكيف الاجتماعي في المحيط الثقافي (**عاطف مدكور ، القاهرة 1971 ص 49**) ويؤكد أيضا في مقام آخر أن فصل اللغة عن الثقافة ليس بالأمر الهين ويستعمل ههنا لفظ الثقافة بمعناها الواسع للدلالة على مجموعة التصورات والتمثلات والمفاهيم التي تشكل النظرة التي تكونها المجموعة البشرية عن العالم المحيط بها (**عاطف مدكور ، القاهرة 1971 ص 52**) فاللغة في نظره هي جزء أساسي من هذه الثقافة بل إحدى مكوناتها الأساسية، فهي وسيلة التواصل الخاصة بالإنسان يعبر بها عن أفكاره ومشاعره ورغباته. لذا تكون اللغة تنظيما من الرموز التي وضعت لغاية التواصل. تصدر هذه الرموز عن جهاز النطق عند الإنسان إلا أنها بصورة أساسية سمعية وهي من ناحية ثانية اصطلاحية تمثل أصواتها المنطوقة نتاج الخبرة الإنسانية المتنوعة. يكتسبها الإنسان عبر ترعرعه في بيئته فتبدو له كنتاج تاريخي وكتراث مجتمعي قديم العهد التصقت به البيئة عبر استعمالها المتواصل لها. فمن البديهي والحال هذه أن ترتبط اللغة بصورة وثيقة بثقافة البيئة المجتمعية. من هنا يركز سابير على اعتبار اللغة جزءا مكونا لثقافة البيئة التي يتكلمها (**ميشال زكريا ، بيروت 1960. ص 221**) وينظر سابير إلى اللغة كعامل مؤثر في العلاقات المجتمعية. فاللغة التي تتكون في الواقع في البيئة تفعل من ثم في إطار تمثل البيئة للعالم المحيط بها. فهي في الواقع تنظم إلى حد كبير أفكارنا وتساهم في تكييف جوانب تصورنا للعالم. فالعلاقة إذا بين اللغة والثقافة علاقة متبادلة ومتفاعلة. ذلك أن اللغة تتأثر بتطور المجتمع من جهة ومن جهة ثانية تفتعل في الواقع المجتمعي فهي بمثابة دليل لهذا الواقع (**ميشال زكريا ، بيروت 1960. ص 221**)

يرى سابير بأن كل لغة تملك من الأصوات والبنى والمفردات اللغوية ما يكفيها لسد حاجاتها التواصلية والحضارية إضافة إلى ذلك أنها تتضمن أنموذجا أو تنظيما مثاليا وفي هذا النطاق الواقع على طريقتها الخاصة وتلزم متكلميها بطريقتها التجزيئية هذه تلعب المفردات المعجمية دورا أساسيا في هذا المجال إذ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تنظم خبرة متكلمي اللغة وينحصر تأثير اللغة بالنسبة للعلاقات المجتمعية في مجال المفردات هذه وفي هذا المجال فقط ذلك أن قواعد اللغة (الفونولوجيا والصرف والنحو) لا ترتبط في الحقيقة بالثقافة ولا توجد أية علاقة ملحوظة بينهما وبين تصور المجتمع للعالم (**ميشال زكريا بيروت 1960 ص 222**) ومما هو جدير بالذكر لابد لنا أن نؤكد على أن إدوارد سابير كان متخصصا في اللسانيات الأنثربولوجية وقد قام بدراساته حول اللغات الأمريكوهندية انطلاقا من ملاحظات أستاذه بواز في كتابه اللغات الأمريكوهندية. ويعتبر هذا الكتاب المرجع الأساسي لدراسة هذه اللغات، وقد وضعه مؤلفه خصيصا لهذ الهدف. واستنادا إلى هذة الموسوعة العلمية استطاع سابير أن يدرس علاقة اللغات بالمجتمعات التي تستعملها

لقد تخرج على يد إدوارد سابير الكثير من الباحثين في مجال اللسانياتالأنثربولوجية. ومن بين تلامذته النجباء (ورف) تلميذه ومساعده في الإنجازات العلمية التي حققها في مجال البحث اللساني الأنثربولوجي قام بأبحاثه انطلاقا من مشاريع أستاذه اللغوية. وقد عرفت هذه الفرضية أيضا (بفرضية النفسية اللغوية) (**ميشال زكريا بيروت 1960 ص 222**)ولابد لنا من أن نشير إلى هذه الفرضية التي كان لها الأثر البالغ في مجال الدراسات في علم اللسانيات الاجتماعي.

تنطلق فرضية (ورف وسابير) من الملاحظات التالية:

– إن كل لغة من حيث أنها تمثل رمزي للواقع المحسوس تتضمن تصورا خاصا للعالم ينظم ويكيف الفكر ينجم عن هذه الملاحظة أنه لا يمكن فصل اللغة عن الفكر الإنساني وأيضا أن كل لغة تختلف عن اللغات الأخرى. يمكننا الآن تلخيص هذه الفرضية بالقضيتين التاليتين (**ميشال زكريا بيروت 1960 ص223**):

1– بما أن كل لغة تتضمن تنظيما مثاليا يجزء على طريقته الخاصة خبرة متكلميها فهي تكون فكر متكلميها. ومن ناحية ثانية يمكن القول بأن متكلمي اللغة المختلفة يتصورون العالم تصورا مختلفا ويلتزمون بالتفكر بالأشياء انطلاقا من قضايا لغتهم. يفترض إذا وجود خلافات في تصور الإنسان للعالم تحملها في طياتها اللغات المختلفة التي تتميز بصورة أساسية فيما بينها. بمعنى آخر كل اختلاف في التنظيم اللغوي يقابله اختلاف في تصور الإنسان للعالم المحيط به.

2– يرتبط الأنموذج اللغوي بالنماذج الثقافية المجتمعية. ويصر سابير في هذا المضمار على اعتبار اللغة عاملا أساسيا في إضفاء الطابع الاجتماعي. ذلك أن العلاقات الاجتماعية لا تقوم ولا تتدعم إلا عبر

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

توسل اللغة في عملية التوصل. وتلعب اللغة دورا أساسيا في مجال التراكم الثقافي وانتقال الثقافة عبر الأجيال.

ومن النتائج التي توصل إليها (ورف) تلميذ سابير "أن اللغة ليست في جوهرها وسيلة للتعبير عن الأفكار بل هي نفسها التي تشكل هذه الأفكار. فنحن نقسم العالم بناء على الإطار العام الذي يحدده النموذج اللغوي سلفا" (**ميشال زكريا بيروت 1960 ص 222**) وقد قدم صاحب هذه النظرية أمثلة كثيرة من لغات متعددة لتأكيد فرضيته منها نماذج من بنية الأفكار في إحدى لغات الهنود الحمر المسماة (hopi) وقارنها بنية الفعل في اللغة الأنجليزية فتبين له بعد هذه المقارنة أن نظرة كل من المجتمعين إلى الزمن تختلف اختلافا جذريا.

اللسانيات الأنثربولوجية عند دو سوسير: إن النظرية اللسانية المعاصرة أخذت خصوصيتها المميزة منذ أن ظهرت إلى الوجود الأفكار العلمية التي جاء بها دو سوسير في مجال البحث اللساني. ومن هنا يعد دوسوسير مؤسس اللسانيات في الثقافة الإنسانية المعاصرة دون سواه (**أحمد حساني الجزائر 1991ص 30**). فمن هو فيرديناند دوسوسير؟

ولد دوسوسير في جونيف سنة 1857 من عائلة عريقة اعطت العديد من العلماء. نشر سنة 1879 رسالة عنوانه: رسالة في التنظيم البدائي للمصوتات في اللغات الهندوأوربية وفي سنة 1880 حصل على درجة الدكتوراه بعد أن تقدم باطروحة تناولت اللغة السنسكريتية. طلب منه سنة 1881 التدريس في معهد الدروس العليا في باريس ودام تعليمه في هذا المعهد مدة عشر سنوات، نشر خلالها عدة مقالات في مجلة ذاكرة المؤسسات اللسانية والذي أصبح أمين سر مساعد فيها سنة 1882. عاد إلى بلده جونيف سنة 1891 حيث مارس التدريس في جامعتها إلى أن توفي سنة 1913. وقد درس مادة الدراسات اللغوية المقارنة. إلا أن اهتماماته بقضايا اللغة بصورة عامة بدا ظاهرا إلى حد كبير في محاضراته. والجدير بالذكر أن قام بسلسلة محاضرات في اللسانيات العامة من سنة 1906 إلى سنة 1911. وهذه المحاضرات هي التي كونت كتابه الذي سمي محاضرات في اللسانيات العامة. والذي قام بجمع مواده بعد وفاته الألسنيان شارل بالي وألبرت سيشهاي اللذان كانا في عداد تلاميذه.(**ميشال زكريا بيروت 1960 ص 223، 224**) وبالنسبة لملامح اللسانيات الأنثروبولوجية فقد كانت البداية منذ أن أكد دوسوسير

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

على الطابع الاجتماعي للسان من حيث هو نظام متكامل من العلامات الدالة التي تتحقق في الواقع بواسطة الإنجاز الفعلي للكلام في البيئة المتجانسة فاللسان إذا هو راسب اجتماعي لجماعة بشرية تتميز بخصوصية ثقافية وحضارية معينة، إذ ليس هناك حقيقة لسانية واقعية خارج بنية المجتمع (**عبد الرحمن الحاج صالح الجزائر 1970.ص55**) لقد استمد دوسوسير هذا التصور الاجتماعي للظاهرة اللغوية من المدد النظري الذي هيأه عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم الذي تنبه إلى خصوصية الظاهرة الاجتماعية فأمست اللغة إذ ذاك ظاهرة اجتماعية كغيرها من الظواهر الأخرى مما جعل بعض العلماء يرى أنه إذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية وتؤدي أيضا وظيفة اجتماعية فليس هناك فرق بين اللسانيات وعلم الاجتماع والأنثربولوجيا الاجتماعية (**عبد الرحمن الحاج صالح الجزائر ص55**)

لقد أكد دوسوسير في علم اللسانيات على دراسة العلاقات بين الألفاظ وذلك بتأثير العلاقات الاجتماعية التي تكون الخطاب الاجتماعي. فحين هم بوضع أرضية علمية للنظرية اللسانية اصطدم في الواقع بثلاثة مظاهر تتعلق بحقيقة اللغة البشرية(**أحمد حساني الجزائر 1991 ص 37**) وهي:

1- اللغة: وهي الملكة الإنسانية المتمثلة في تلك القدرات التي يمتلكها الإنسان وتجعله يتميز عما سواه من الكائنات الأخرى.

2- اللسان: وهو النظام التواصلي الذي يمتلكه كل فرد متكلم مستمع مثالي ينتمي إلى مجتمع لغوي له خصوصيات ثقافية وحضارية معينة.

3- الكلام: وهو الإنجاز الفعلي للغة في الواقع. يقول دوسوسير:" اللسان في نظرنا هو اللغة ناقص الكلام"

(**دوسوسير تونس 1986. ص 125**) إذ اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية تتميز بتعدد عناصرها فهي من هنا غير متجانسة لذاتها وهي تنتمي إلى مجال فردي ومجال اجتماعي. إنها محل اهتمام لكثير من التخصصات (**دوسوسير 1986 ص 125**) أما اللسان فهو في نظر دوسوسير رصيد وضعته ممارسة الكلام في ذاكرة الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع متجانس وهو نظام قواعدي يوجد بصفة مضمرة في أذهان الاشخاص المتكلمين الذين ينتمون إلى مجتمع لغوي. فاللسان هو ظاهرة اجتماعية لا يوجد عند كل فرد على حدة بل يوجد بصفة كاملة عند الجماعة. فهو إذا القانون المشترك بين أفراد المجتمع اللغوي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الذي يسمح لهم بالاتصال. وهو يتميز عن اللغة من حيث أنه ظاهرة اجتماعية تمارس فعاليتها بقوة بمعزل عن إرادة المتكلمين. لذلك فإن اللسان نتاج اجتماعي لملكة اللغة فهو مجموعة من الأعراف الضرورية التي يستخدمها المجتمع لمزاولة هذه الملكة عند الأفراد

إن التمييز بين اللسان من حيث هو ظاهرة اجتماعية بمعزل عن إرادة الفرد المتكلم والكلام من حيث هو عمل فردي يمارس فيه المتكلم قدرته التعبيرية للاتصال بالآخرين يطرح تمييزا بين الحدث الاجتماعي والحدث الفردي فيرى دوسوسير في هذا المقام أن فصل اللسان عن الكلام هو في الوقت نفسه فصل ما هو اجتماعي عما هو فردي وما هو جوهري أساسي عما هو تابع أو عرضي (**دوسوسير1986 ص 80**) ولقد حاول تمام حسان تلخيص هذه المقابلة التي أوردها دوسوسير بين اللسان والكلام شارحا ما ذهب إليه بقوله:" الكلام عمل واللسان حدود هذا العمل، الكلام سلوك واللسان معيار هذا السلوك، الكلام نشاط واللسان قواعد هذا النشاط، الكلام يدرك بالسمع نطقا وبالبصر كتابة واللسان يدرك بالتأمل في الكلام. فالكلام هو المنطوق والمكتوب واللسان هو المخزون في المتون اللغوية والكلام عمل فردي واللسان عمل اجتماعي" (**تمام حسان القاهرة 1977. ص 38**) وعلى الرغم من الفرق الموجود بين اللسان والكلام فإن هذين الموضوعين متصلان وصلتهما وثيقة جدا إذ إن أحدهما يقتضي وجود الآخر ولأن اللسان ما هو إلا راسب من عمليات عديدة للكلام عبر الزمن أما الكلام فإنه تطبيق أو استعمال للوسائل والأدوات الصوتية والتركيبية والمعجمية التي يوفرها اللسان(**دوسوسير1960 ص31**) ومن خلال تأكيد دوسوسير على الفرق بين اللسان والكلام واللغة فإنه أشار أيضا إلى العلاقة بين اللغة والمجتمع والكلام الذي ينتجه. وعلى الرغم من أنه أنكر الارتباط المباشر بين اللغة والمجتمع على مستوى الظاهر بسبب تفريقه بين مستويات الخطاب اللغوي فهو يؤكد حضور المحور الاجتماعي في منهجه وما يؤكد هذا الحضور هو أن أطروحاته في اللسانيات تزامنت مع ما قدمه عالم اللسانيات الأنثروبولوجية إدوارد سابير وما قدمه تلميذه ورف بفرضياته في دراسة المجتمعات اللغوية البدائية من خلال إنتاجهم اللغوي.

نخلص مما عرضناه إلى أن علم اللسانيات الأنثربولوجية الاجتماعية أصبح من العلوم البارزة في ميدان الدرس اللغوي، وإن النموذج اللغوي يرتبط ارتباطا وثيقا بالنماذج الثقافية لمجموعة بشرية معينة. وبناء على

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ذلك فإن اللغة عامل أساسي في إضفاء الطابع الثقافي المميز عن المجتمع لأن العلاقات الاجتماعية لا تنبني إلا بواسطة النموذج اللغوي الذي يقوم بدور جوهري في مجال التراكم الثقافي في انتقال النمط الثقافي عبر الأجيال (**نايف خرما الكويت 1978. ص 217**) وما كان ذلك إلا لان اللغة تشكل جزءا من الوعي الثقافي في الجماعة وهي تعد في بنيتها الجوهرية واحدة من أقدم المظاهر لهذا الوعي (**ميشال زكريا بيروت 1960 ص 222**) وقد أكد بعض الباحثين في اللسانيات العربية بأن هذا الميدان العلمي في اللسانيات الأنثربولوجية الاجتماعية لا يؤخذ عليه إلا غلو أصحابه في فرض آرائهم وفي تعليلهم لكل طارئ يطرأ على اللغة أو بدعة تبتدع فيها بعلل اجتماعية خالصة. وفي ذلك يقول علي عبد الواحد وافي:" يتبين لنا فساد ما يذهب إليه المتطرفون من علماء الاجتماع كالعلامة سوسير ومن نحا نحوه إذ يقررون أن جميع المؤثرات في حياة اللغة ترجع إلى امور اجتماعية(**علي عبد الواحد وافي ، القاهرة 1946. ص 137**) .

المصادر والمراجع:

01 -أحمد حساني: مباحث في اللسانيات. ديوان المطبوعات الجامعية. ط3 1991.

02 -تمام حسان: اللغة معناها ومبناها. الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 1977.

03 -جميل صليبا: المعجم الفلسفي. دار الكتاب اللبناني. بيروت 1978.

04 -ابن جني: الخصائص. تح: محمد علي النجار. القاهرة 1958 .

05 -دوسوسير: محاضرات في اللسانيات العامة. تر: صالح القرمادي.الدار العربية للكتاب التونسي 1986.

06 -رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي.مكتبة الخانجي القاهرة ط2 1985

07 -عاطف مدكور: علم اللغة بين القديم والحديث. جامعة القاهرة ط1 1977.

08 -عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان.موفم للنشر والتوزيع. الجزائر 2007.

09 -عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث. مجلة اللسانيات. 1970.

10 -عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية. الدار التونسية 1986.

11 -علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع. دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1946.

12 -غازي مختار طليمات: في علم اللغة. دار طلاس للدراسات. دمشق. ط3 2007.

13 -فندريس: اللغة. تر: عبد الحيد الدواخلي. القاهرة 1950.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

14 -كمال بشر: دراسات في علم اللغة العام. دار غريب القاهرة 1970.
15 -كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي دار غريب القاهرة 1995.
16 -ماريوباي: أسس علم اللغة. تر: أحمد مختار عمر. عالم الكتب القاهرة 1983.
17 -محمد علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام. دار الهدى. عين مليلة الجزائر.ط 2009.
18 -محمود السعران: علم اللغة رأي ومنهج. دار النهضة العربية. بيروت لبنان.دت.
19 -محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. دار النهضة العربية. بيروت لبنان. دت.
20 -محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة. دار الثقافة للنشر. القاهرة 1409 هـ.
21 - ميشال زكريا : الألسنية مبادئها وأعلامها. المؤسسة الجامعية للدراسات. بيروت 1960.
22 - نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية العاصرة. عالم المعرفة الكويت 1978.
23 - هرسون: علم اللغة الاجتماعي. تر: محمود عيان. عالم الكتب 1990.